التناص القرآني في الديوان المنسوب للإمام السجاد عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
عاطي عبيات
جامعة فرهنگيان رسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ الأهواز
Ati.abiat@yhoo.com

الملخص:

يعتبر القرآن الكريم من أهمّ المصادر الفنية التي استقي منه الكثير من الشعراء والأدباء والكتّاب والمفكرين قديماً وحديثاً في إغناء تجاربهم الفنية. فقد حظي القرآن الكريم بنصيب وافر من الدراسات الأدبية والفكرية، نظراً لما له من أسلوب معجز وقيمة سامية، ولذلك تأثر الأدباء والشعراء بمعانيه وأساليبه وقصصه، عبر آلية(الاقتباس قديماً - أو التناص حديثاً) وراحوا يستثمرون معانيه ومفاهيمه وقيمه وإيحاءاته في ابداعتهم. ومن جملة حملة القرآن(الدوحة النبوية) الذين تأثروا كثيراً بهذا الكتاب المعجز هو الإمام السجاد عليه السلام.

فراح الإمام عليه السلام من خلال القرآن يدعوا إلى الزهد والابتعاد عن ملذات الدنيا وزجر النفس عن اتباع الهوي ومناصرة الحق والوقوف بوجه الظلم، والدعوة والإنابة إلى الله عزّ وجل والتذكير بالآخرة ونعيمها، وزوال الدّنيا ولذائذها وما شابه ذلك. فحاولت هذه الدراسة قدر الامكان الكشف عن معطيات التناص الديني المتمثل بـ(القرآن) في الديوان المنسوب للإمام زين العابدين عليه السلام،فكانت هذه المعطيات بالمحصلة لها الأثر المشهود في تطوير وتخصيب تجربة الإمام الفنية. تُعنى هذه الدراسة بتناول أثر القرآن الكريم عبر آلية(التناص) في الديوان المنسوب للإمام السجاد عليه السلام، في محاولة لاستكشاف العلاقة الوطيدة بين الإمام ومرجعيته الدينية، ممثلة بالقرآن الكريم ثم الكشف علي مدى تأثر الإمام بتراثه الذي يأتي القرآن الكريم في المنزلة العليا من منازله. يهدف المقال عبر المنهج الوصفي-التحليلي الوقوف علي آلية توظيف القرآن الكريم وأشكاله ومعرفة أثر هذا التوظيف في تطوير الحقول الدلالية للنص الشعري للإمام السجاد عليه السلام ومعرفة أثر هذا الاستدعاء علي ذهنية المتلقي.فقد اعتمد الباحث على القرآن الكريم والديوان المنسوب للإمام" زين العابدين" في إغناء دراسته الفنية، فانعكس ذلك على إثبات النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمات الدليلية: أثر القرآن الكريم، الإمام السجاد عليه السلام، التناص، أشكال التناص، التجربة الفنية.

المقدمة:

يشكل القرآن الكريم منبعاً ثراً، وعطاء مستمراً، وملاذًا خصبًا، يلجأ إليه الشعراء والأدباء في أعمالهم الأدبية المختلفة؛ لأنه يشكل جزءًا ثابتًا من حياتهم المعيشة، ويحمل نواة بقائهم ووجودهم واندماجهم بالحياة. وقد وجد الشعراء - منذ زمن بعيد - في القرآن الكريم ضالتهم التي ينشدونها للتعبير عما يجيش في خواطرهم من رؤى فلجؤوا إليه مستلهمين معانيه وأحداثه المختلفة محاولين ربط الأحداث المعاصرة به مما يعطي أشعارهم أبعاداً عميقة في القوة والتأثير، لا سيما أنهم وجدوا شبهًا واضحًا بين أحداث اليوم وأحداث الزمن الغابر. فلقد كان للغة القران الكريم أثر في لغة شعراء صدر الإسلام هذا الأثر انعكس عل الألفاظ ودلالات تلك اللغة إذ بدأ الشاعر يستعمل مفرداتها ودلالاتها في رسم صورهِ الشعرية والتعبير عنها(اللغة في شعر ابي اسحاق الالبيري،٢٣٥) والحق ان الحركة الشعرية لا تستطيعُ ان تقطع اشواط الصلة بجذور التراث الأدبي، فهو يمثل الاصالة التي تُعطي للقصيدة هويتها ولذلك يمكن ان نقول أن اللغة الشعرية تتخلص من الغريب والمهجور والمعقد إذا ازدادت ثقافة الأُمة (شاكر غضيب ١٩٨٩: ١٣٦- ١٣٩) فاللغة الشعرية تحمل طاقات انفعالية جمالية تمد جسوراً بين المتلقي والشاعرُ، عندها ينبغي للشاعر أن يوصل تجاربه الخاصة بمنتهى القوة النافذة (ابركرمبي، لاسل ١٩٥٤: ٣٤).فظل القرآن الكريم مصدراً يستلهم منه الأدباء معانيهم مستغلين طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين تجاربهم ونصوصه؛ وهم بذلك يثبتون أن التراث الديني مستمر ودائم وقابل للتشكيل وإعادة الصياغة. (قاسم، ١٩٩٤، ١٥) لذلك شكلّ القرآن وأحداثه، حضوراً فاعلاً في الشعر العربي طيلة العصور، لذلك عَمَدَ الشعراء علي توظيف النص القرآني وإستثماره والعمل علي امتصاص لغته وأساليبه ومضامينه، فتكثيف استدعاء النص القرآني عبر(التناص)جاء وفقاً لما((تتميز بِهِ اللغة القرآنية من إشعاع وتجدد، ولما فيها من طاقات إبداعية، تصل بين الشاعر والمتلقي، بحيث تستطيع التأثير في المتلقي بشكل مباشر. يضاف إلى ذلك قابليتها المستمرة لإعادة التشكيل والصياغة)) من جديد، بحيث يستطيع عدّة شعراء أن يستثمروا

الآية الواحدة، من خلال إسقاط مغزاها، أو شكلها، على أزماتهم الخاصة، لتعبر عن تجاربهم الفردية من دون أن يلتزموا صيغة واحدة))(حلبي،٢٠٠٧،١٠٠) ولإثراء تجاربهم وتطوير أدواتهم التعبيرية عمدوا علي تفجير الطاقات الكامنة في النص القرآني ووظفوا آياته ((بآليات متخالفة مرةً ومتآلفة مرات، وهذا يدلّ علي أنّهم لم يتعاملوا معه بصورة آلية أو ميكانيكية أُحادية الدلالة، بل تعاملوا معه بوعي فكري ونفسي ووجداني، تتعدد فيها الدلالة وتتحول الآية أو "الشخصية القرآنية" إلى عالم يزخر بدلالات ومنظورات متعددة ومتكثرة، دون انفصال عن نسيج القصيدة، وتوهج التجربة الشعرية))(نمرموسى،٢٠٠٥، ٢٥)واعتبر النص القرآني مصدراً غنياً للتناص و للإلهام الشعري على مستوى الدلالة و الرؤية و " ذلك أنَّ استحضار الخطاب الديني في الخطاب الشعري المعاصر، يعني إعطاء مصداقية وتميُّز لدلالات النصوص الشعرية، انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني، وقداسته وإعجازه". (جربوع،٢٠٠٢م: ١٣٤) فالقرآن الكريم بألفاظه، ومعانيه، وتراكيبه وصوره كان حاضراً في شعر الإمام السجاد عليه السلام، وكان أثره واضحاً جلياً فأغني الإمام بهذا النبع الثري صوره الأدبية التي حفلت بها قصائده، ولعل استحضار تلك الصور كان أدق وأخفي علي المتتبع، إذ يستدعي معرفة عميقة بما ضمه هذا الكتاب الكريم بين دفتيه من أسرار البيان وكنوزه. وهذا البحث ينطوي علي محورين أساسيين: فالمحور الأول تركز علي أهمية التناص أو الإقتباس القرآني في النص الأدبي والمحور الثاني تركز علي أنواع التناص في شعر الإمام السجاد عليه السلام ومدي تأثيره علي تجربة الإمام الفنية وبيان مدي تأثيره في نقل التجربة الشعرية والشعورية للمتلقي.

١ـ حياة الإمام السجاد عليه السلام وسيرته العلمية والأدبية.

هو الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من أسلم وآمن برسالته، وكان منه بمنزلة هارون من موسي، كما صحّ في الحديث عنه [صحيح مسلم: ٧ / ١٢١ نقلا عن النسخة الكترونية المسمي بإعلام الهداية الإمام علي بن الحسين عليه السلام]. وجدّته فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعته، وفلذة كبده، وسيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها. وأبوه الإمام الحسين عليه السلام أحد سيِّدَيْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه

جدّه صلى الله عليه وآله: ((حسين منّي وأنا من حسين))، وهو الذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. وهو أحد الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام الذين نصّ عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، إذ قال: ((الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش)) [إثبات الهداة: ٣٢٠/٢ حديث، ١١٦ نقلاً عن أعلام الهداية الموقع الكتروني]. وقد ولد الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضي ما يقارب سنتين أو أربع منها في كنف جدّه الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وارتوي من نمير العلوم النبوية، واستقي من ينبوع أهل البيت الطاهرين. برز علي الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلي في الورع والعبادة والتقوي، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته. كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك [اختيار معرفة الرجال: ١٢٩- ١٣٢ ح ٢٠٧، والجاحظ في البيان والتبيين: ٢٨٦/١، الأغاني: ٧٥/١٤ و ٤٠/١٩ نقلاً عن أعلام الهداية الموقع الكتروني]. لم تكن ثقة الأُمّة بالإمام زين العابدين عليه السلام - علي اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها - مقتصرة علي الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً، ومفزعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين. ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين عليه السلام لحلّ مشكلة التعامل بالنقود الرومية إبّان تهديد الملك الروماني له بإذلال المسلمين [دراسات وبحوث للعاملي: ١٢٧/١ - ١٣٧ نقلاً عن أعلام الهداية الموقع الكتروني.]. وقد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه عليه السلام فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدقّ المراحل التي مرّت بها الأُمة وقتئذ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الأُولي، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وضمّت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن. تعرضت الأُمة الإسلامية في عصر هذا الإمام عليه السلام لخطرين كبيرين: الخطر الأول: هو خطر الانفتاح علي

الثقافات المتنوعة، والذي قد ينتهي بالأُمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابدّ من عمل علمي يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسنّة. وكان لابدّ من تأصيل للشخصية الاسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد. وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين. وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسيّة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة. الخطر الثاني: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالي ضمور الشعور بالقيم الخلقية. وقد اتّخذ الإمام زين العابدين عليه السلام من الدعاء أساساً لدرء هذا الخطر الكبير الذي ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها. ومن هنا كانت ((الصحيفة السجادية)) تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه علي الإمام عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ علي مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد إليه حاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً والدنيا فتنةً له [الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره في مقدمته للصحيفة السجادية نقلاً عن أعلام الهداية الموقع الكتروني]. فاتّفق المسلمون علي تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام وأجمعوا علي الاعتراف له بالفضل، وأنّه علم شاهق في هذه الدنيا، لايدانيه أحد في فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له: أنّهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها علي عيونهم [ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد: ٢٥١/٢]، ولم يقتصر تعظيمه علي الذين صحبوه أو التقوا به، وإنّما شمل المؤرخين علي اختلاف ميولهم واتّجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

الدراسات السابقة:

برز دور الإمام السجاد عليه السلام في ما تركه من إرث ثقافي ما زالت الأمة بكل توجهاتها تنهل من معينه العذب، وتغترف منه ما تروي به ظمأها. فالدراسة التي نحن بصددها علي

حد ظنيّ والله أعلم، لم يفرد أحد من الباحثين بحثاً مستقلاً تناول شعر الإمام السجاد عليه السلام بل كل ما وجدناه هي أبحاث تركزت حول الصحيفة السجادية وحول الأدعية الواردة وحول حقوق الإنسان وحول الشخصية العرفانية وحول الزهد في الصحيفة السجادية وحول بلاغة الإمام وما إلى ذلك من ابحاث تركزت علي الجانب الديني والعقائدي والدور التاريخي للإمام في إحياء الثورة الحسينية.

٢ـ التناص في اللغة والإصطلاح

١-٢- مفهوم التناص لغة:

التناص مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب، فرض حضوره في مجمل الدراسات الغربية والعربية منها مؤخرا. وهو حديث الوفادة على المشرق العربي، ولقد اختلفت النظريات والمفاهيم والتفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية والمدارس النقدية أساسا في الغرب. والتناص لفظ يعود إلى جذره اللغوي (نصص)، وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أن النص: "رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهر فعد نصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصل لحديث من الزهوي: أي أرفع له وأسند... ونص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض...والنص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها،... والنص: الإسناد إلى الرئيس الأكبر والنص التوقيف والنص التعيين على شيء ما"(لسان العرب، مادة ن ص ص) فالجذر نصص يتولد عنه عدة دوال ومعان متقاربة، تنتمي جميعها إلى حقل دلاليواحد، "وربما كان أكثرها اتصالا بالمنطقة النقدية، هو دلالتها على عملية (التوثيق) ونسبة الحديث إلى صاحبه وذلك عن طريق متابعة ما عند صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره حتى بلوغ منتهاها"(عبدالمطلب،١٩٩٥، ص١٣٧) أما التراكم الذي يكون (بجعل الشيء بعضه فوق بعض) فلا يقوم إلا على التمايز والتفاعل والتشارك، وفي إطار هذا المفهوم نستطيع أن نجد علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتناص، إذا علمنا أن مادة التناص بصورتها اللفظية تحتوي على المفاعلة؛ والمفاعلة لا يمكن تحققها الفعلي إلا إذا توفر التمايز والتعدد على نحو من الأنحاء.(عبدالمطلب،١٣٧).

٢-٢-التناص اصطلاحاً

يعتبر التناص (intersexuality) من أبرز تقنيات الشعر الحداثي وقد ظهر كمصطلح نقدي جديد في الآونة الأخيرة وارتبط هذا المصطلح بالمدارس النقدية الأجنبية،رغم أنّ ظاهرة التناص لها جذور عميقة في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم، حيث (إنّ التضمين والإقتباس والمعارضة والمناقضة تقترب إلى حد كبير من مصطلح التناص، مع الإقرار بأنّ التناص بصورته النقدية الآنية أكثر تطوراً وتعقيداً من هذه المصطلحات النقدية العربية القديمة، إذ إنّه يحمل طابع العصر ويدل علي معانٍ وأنواع أكثر تعدداً وتنوعًا وتعقيداً))(عبدالرزاق سليمان، ٢٠١١، ١٤) ولقد برز هذا المصطلح علي يد "جوليا كريستيفا"، غيرأن الولادة الحقيقية له كانت علي أيدي الشكلانيين الروس أمثال شكلوفسكي وميخائيل باختين، حيث كثير من النقاد يعتقدون ((إنّ الأخير هو أول من صاغ نظرية في تداخل النصوص. علي حين أن جوليا كرستيفا قد إستحدثت هذا المصطلح(التناص)،عند تقديمها لكتاب "باختين" عن ديستوفسكي))(حلبي،٢٠٠٧، ١٤) فالتناص عند "جوليا" يقصد به ((أنّ كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الإقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى)) (محمد عزام، ٢٠٠١، ٣٠، نقلاً عن عبدالرزاق سليمان،١٥) بمعنى آخر أن كل نص يظهر للوجود من خلال إعادة انتاجه من نصوصه مختلفة.

فالتناص بمعني تداخل النصوص وتفاعلها من الظواهر التي تتسم بها النصوص الأدبية المنتجة بعامة، فالنص لابدّ له بصورة أو أخرى من أن يتفاعل مع غيره من النصوص الأخري؛ لإنتاج نص أدبي جديد، يستقي أشياء كثيرة من تجربة الشاعر الذاتية،تضاف إليها التناصات المقتبسة عمداً أو عفواً(حمدان، ٢٠٠٦، ٨٤) فالتناص كما يقال ليس عملية شكلية تتأسس على التواصل الشكلي بين النصوص وإنما يعني التناص الفاعل تمازجا وتشابكا وتلاحما بين النصوص التي تقيض للقارئ فرصة معاينة النصوص معاينة قائمة على إثارة وعيه وإدراكه واستنفار معرفته وخبرته في النص الوافد وما طرأ عليه من تحولات في تغيير دلالاته عندما يدخل في نسيج النص الجديد ويصبح جزءا لا يتجزأ منه، فالنص المستقبل ممكن أن يحور ويبدل ويغير في النص الوافد وذلك وفق ما تقتضيه رؤية المبدع. فالتناص يقوم بمزج وتركيب وإذابة النص في تركيب جديد مما يعطيه بُعداً دلالياً آخر، للنص الغائب في

تركيبته الجديدة وتنشأ علاقة وطيدة وحميمية مابين النصين تبدأ بالإشارة وتنتهي عند إحاطة القارئ بمناخ دلالية تدفع به نحو قراءة تأويلية تقوه علي التفكيك وإعادة البناء(خليل، ٢٠٠٦، ١٦٥) فالتناص ((يكسب النص جانباً مهماً من قيمته ومعناه، مما يمكننا من إستجلاء المعاني التي يطرحها، ويعمق فهمنا لها، كما يمكننا من طرح عدّة توقعات حين نواجه النص، فيشبع فينا هذه التوقعات، ويزوّدنا بالمسلّمات التي تعيننا علي فهم النص الذي نتعامل معه، والتي أرسلتها نصوص سابقة، ويتعامل معها كل نص جديد بطريقته الخاصة، فينميها ويرسخها، ويضيف إليها، فالتناص بؤرة مزدوجة يلفت من خلالها الإنتباه إلى النصوص الغائبة فتتخلي عن إستقلاليتها، ويدعو إلى إعتبار هذه النصوص الغائبة مكونات لشيفرة خاصة تساعد علي فهم النص الذي نتعامل معه، وتفضّ مغاليقه)) (صبري،١٩٩٦، ٤٩)

٣ـ أهمية استدعاء التناص في النص الأدبي.

ترجع أهمية توظيف تقنية التناص لما تشكلّه هذه الظاهرة من أبعاد فنية وإجراءات أسلوبية تكشف التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص، إذ يقوم استدعاء النصوص بأشكالها المتعددة الدينية والشعرية والتاريخية على أساس وظيفي يجسد التفاعل الخلاّق بين الماضي والحاضر. فالتناص عند "أحمد الزغبي" يقوم علي أن يتضمن((نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه، عن طريق الإقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة، أو ماشابه ذلك من المقروء الثقافي لدي الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل)) (الزعبي، ١٩٩٥، ٩) وفي هذا الإطار يري محمد عبدالمطلب أنّ النضج الحقيقي، فنياً وإبداعياً، لايتم للشاعر إلاّ من خلال تمثل مبدأ التناص(عبدالمطلب، ١٩٩٠، ١٤)الذي يمثل((الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشاً له خارجهما))(مفتاح، ١٩٨٥، ١٣٢) لكن التناص لايعني أن يستسلم الشاعر للنصوص السابقة، فيصبح نصه إعادة آلية لما سبقه من نصوص، لأنّ الكلمة حينما تدخل النص الجديد تشحن بدلالات ومعان مختلفة وتحمل معها إيحاءات إلى حدما، قد تقارب الإيحاءات السابقة، ولكنّها تحتفظ لنفسها بخصوصية تضمن لها تحقيق ذاتها بعيداً عن ذوات الآخرين، وعندما تتراكب الكلمات ضمن سياقاتها الجديدة تجعل اللغة تتحرك وتنهض من ركام الذاكرة وفوضي الأشياء في عالم فاجع، لتؤسس كيانها وخصوصية ذاتها التي تنبع من خصوصية قولها، وتقدم تشكيلاً

جديداً للعالم والأشياء(حميد، ١٩٩٦، ٩٦).

٤ـ التراث الديني(القرآن) في شعر الإمام السجاد عليه السلام:

كان التراث الديني (القرآني) في كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخيًا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج و موضوعات وصوراً أدبية.وقد شكل التراث الديني مرجعية دلالية، لها حضورها القوي والفعال في القصيدة العربية وتميزه وقدرته على النهوض بانفعالات المبدع وتجاربه، والتأثير مع الوجدان الجمعي؛ لأن المعطيات الدينية((تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، بما قدمت من تصورات لنشأ ة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة)) (جودة نصر، ١٩٨٧: ٣٥) فقد وجدنا أن الإمام عليه السلام يقتبس من القرآن الكريم آياته المحكمات وهذا الاقتباس وقع على نمطين أما بالنقل الحرفي أو بالنقل الضمني وفي كِلا الحالين سمت هذه العملية بالأبيات نحو الأبداع الفني و الشعرية فتمتعت الأبيات بالأجواء القرآنية المقدسة التي تحدثت عن الايمان بالله تعالى وذم الدنيا ومشاهد القيامة والجزاء والجنة والنار والتقوى والإيمان بالقضاء والقدر والتوكل على الله في الرزق والصبر والقناعة وغير ذلك وقد ظهر هذا التأثر بالمعاني القرآنية في جوانب مختلفة كاللغة واللفظ والمعنى. أما في مجال الصورة فقد انماز التصوير الفني في هذه الابيات بالأجواء المقدسة حيث الارتباط بالسماء وقيمها الخالدة فتطلعنا الى مشاهد القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار والكافر والمؤمن وما أعده الله للصالحين من ثواب ونعيم مقيم في جنة الفردوس حيث الروح والريحان والراحة والسلسبيل وما ذلك إلا إمتداد للجدة والأصالة والذي ظهر في انواع الصور الاصلية والايحائية والمنقولة.

٥ـ الأثر القرآني(التناص) في شعر الإمام السجاد عليه السلام:

تأثر الإمام عليه السلام بالصورة القرآنية فعمد إلى اقتباسها لاثراء ابعاد صورته الشعرية فهو ينقل جوهر الحدث في صورته الشعرية ويضيف اليها من اسلوبه وشاعريته وتدور غالبية موضوعاتها حول اليوم الاخر وساعة قيام الساعة او الجنة والنار الدنيا والغرور والزاد والتقوي والفلاح وغير ذلك. وعمد الإمام إلى استدعاء الصورة الإيحائية فهي تلك الصورة التي ((تومئ الى اللفظة القرآنية من بعيد فهي تتضمن شيئاً من الصورة القرآنية ولكن المتلقي لا يستطيع ان يمسك عناصر الصورة القرآنية الا بالتلميح والتقرب، وهي بهذا تتفاوت في

بعدها وقربها وفقاً لدرجة النباهة وبالحضور الذهني لدى القارئ (شلتاغ عبود ١٩٨٧م: ١٢٤).فالشاعر فيها يعبر عن صورة يستدعيها من سياقها القرآني ويضعها في بنيته الشعرية تشع فيها هذه اللفظة بطاقات ايحائية تسهم في اثراء صورته الشعرية والدافع من قيمتها((هكذا تكون اللفظة الواحدة كافية لاشاعة الظلال التي تربط المتلقي بالشاعر ليعي ما يقدمه له، حين تكون هناك ملكة خلاقة تقوى على استغلال طاقتها التصويرية وامتداداتها النفسية))(بوحجام، ١٩٨٧م: ٢٤٢/١)ومن هنا نستطيع أن نقول ان الآثر القرآني(التناص القرآني-) يزيد في فاعلية النص تأثيراً وإبداعاً فترتاح اليهِ النفس وتلتفت الى السحر المبدع الذي الفته في آيات الذكر الحكيم. وما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج كما يقال في صُلب الخطاب الأدبي إلا حضور للنص القُرآني في ذهن الشاعر والحاحهِ على إتخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية وإسهامهِ في تنشيط فاعلية النص الشعري والتأثير إيجابياً في المتلقين. فلقد تأثرت بنية النص الشعري للإمام ببنية النص القرآني، إذ كثيراً ما نجده قد اقتبس جملاً وعبارات قرآنية استلهمها واستعملها في أشعاره لنقل أحاسيس ومشاعر وأفكار وعواطف جالت في خلجات نفسه أو أحاسيس أراد نقلها وتوصيلها إلى نفس المتلقي. فمحاولة الأديب الاقتباس من القرآن الكريم يعني ((محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما أكثر الشعراء من اقتباسه كان أقرب الى تلك الذروة))(مكي العاني، ١٩٩١:١٧).

لقد تضمن شعر الإمام عليه السلام حشدا كبيرا من المفردات ذات البعد القرآني والبعد الإسلامي استخدمها القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. وهذا يدل فيما يدل علي أن الإمام عليه السلام ذو ثقافة دينية واسعة. وقد قام بامتصاص دلالات المفردات المتناصة. وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية خاصة ذات تأثير عميق في نفس المتلقي بعد أن يمنحها رؤيته الخاصة.لا تكاد قصيدة واحدة من قصائده ديوان الإمام السجاد عليه السلام تخلو من التناص الديني وربما تجد مئات المواقع المتناصة مع القرآن متناثرة في مجموع شعره. تضفي على نصوصه ثراء وتمنحه قدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والفكري والأدبي، كما أن التناص من شأنه أن يساهم في تقوية النص وتصوير أفكاره وتجليته مما يزيده قيمة وفاعلية في وجدان الناس، وجمالا ورونقا وبهاء.

٦-أشكال التناص في شعر الإمام السجاد عليه السلام:

٦-١-التناص النصي (اقتباس النصي):

يعمد الشاعر أو الأديب في هذا النمط من الاقتباس إلى استدعاء النص القرآني في سياق بيته الشعري دون ان يقوم بتغيير النص أو تحويره وإنما يُشار اليه على أنه نص من القرآن الكريم ((لأن ما ينبه عليه يدخل في باب الاستشهاد))(حسن التوسل في صناعة الترسل: ٣٢٣).ومن هنا نستطيع أن نقول ان الاقتباس القرآني يزيد في فاعلية النص تأثيراً وإبداعاً فترتاح اليه النفس وتلتفت الى السحر المبدع الذي الفته في آيات الذكر الحكيم. و((ما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج في صُلب الخطاب الأدبي إلا حضور للنص القُرآني في ذهن الشاعر والحاحه على إتخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية وإسهامه في تنشيط فاعلية النص الشعري والتأثير إيجابياً في المتلقين))(فاعلية التعبير القرآني في الشعر، ٣٢٧) والحق أن الاقتباس النصي لا يتحقق إلا بإتيان الشاعر النص القرآني و تراكيبه ومن ذلك قول الإمام السجاد عليه السلام:

وكيف يلذ العيش من هو موقن بموقف عدل حين تبلي السرائر

فالإمام قد استدعى نص الآية القرآنية ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (الطارق:٩-١٠) فاستضافها في بنية نصه الشعري مع تبنيه على أنه نصٌ قرآني، فكان أن جاءت الصياغة التركيبية مطابقة على مستوى بنيتها السطحية أما على مستوى بنيتها العميقة فقد جاء استعمالها الدلالي موافقاً ايضاً. فاقتبس الإمام قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ في عجز بيته بأكمله من حيث الصياغة التركيبية مع زيادة لفظة (حين) بدل(يوم) ليكتمل البيت الشعري.

وفي مقطع آخر قال الإمام السجاد عليه السلام(الديوان ٤٢):

ويفني ما حواه المرؤ أصلاً وفعل الخير عند الله باق

فقد اقتبس الإمام عليه السلام عبارة(عند الله باق) في عجز شعره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٥-٩٧) دون أن يحدث أي تغيير على البنية السطحية للنص الشعري فجاءت البنية السطحية موافقاً الصياغة التركيبية. فالإمام عليه السلام هنا اقتبس الآية

القرآنية الشريفة كلها أو جزءاً منها دون الاشارة الى فعل الاقتباس مُحدثاً بذلك التحاماً بين النص القرآني والنص الشعري فكما يقال هو التحام تلاصق وتجاور لا تداخل.

وفي مقطع أخر أنشد الإمام عليه السلام (الديوان:٤٧):

وما ترجو النجاة به وشيكاً ... وفوزاً يوم يؤخذ بالنواصي

فلست تنال عفو الله إلاّ ... بتطهير النفوس من المعاصي

فنص الإمام عليه السلام يتشرب بالنص القرآني الذي استدعاه في عجز بيته الشعري من قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٤١) فعلى مستوى الصياغة التركيبية حدث تغيير طفيف حيث وظف الإمام (يوم) بدل(الفاء) لتتحقق استقامة الوزن في البيت الشعري، فالسياق الشعري جاء موافقاً دلالة النص القرآني الذي يؤكد أن الله عزّ وجل يجزي كل نفس بما كسبت في الدنيا ليجازي المحسن بإحسانه والمسيءَ بإساءته فهو لا يظلم أحداً من خلقه فالإمام يحث المتلقي ويشجعه علي النجاة والسلامة إذا أرداها وتحقيق ذلك يتم عن طريق تطهير النفس وغسلها من الذنوب والأدران والإنابة إلى الله وطلب العفو والمغفرة منه.

وقوله أيضاً(الديوان: ٦٨)

وعفو الله أوسع كل شيء ... تعالى الله خلاّق الأنام

يامن يجيب دعا المضطر في الظُلم ... يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

وقد استوحي الإمام هذا المعني في صدر البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل:٦٢) واجري الإمام عليه السلام تعديلاً طفيفاً بالنص الغائب المستحضر فبدل همزة المنداء استعمل (الياء) للنداء بهدف تقريب العون ووصول العون والمساعدة للنفس المضطر من قبل الله عزّ وجل. فآيات القرآن الكريم وأساليبها في الدعاء والذم والتعجب والرجا وغير ذلك أصبحت المصدر الأول الذي يستنبط منه الإمام استشهاداته لما لها من دلالات مهمة وأبعاد أدبية عميقة.

٢-٦- الاقتباس الاشاري.

إن الاقتباس الاشاري يعني ما أشار إليهِ الشاعر في الآيات من غير أن يلتزم بلفظها

وتركيبها أو هو ما كان الشاعر يشير فيه الى آية من الآيات القرآنية. ففيه ((يعمد الشاعر الى الاختصار والتكثيف اقتصاراً منه على الدلالات الايحائية والاشارات الرمزية)) (التميمي، ٢٠٠٠م: ٨٠). فالشاعر ينطلق من مبدأ أساسه ((الاقرار بقداسة النص القرآني فيتعامل معه بشيءٍ من التحريك والتحويل لا ينفي الاصل ولا يُحدث الشاعر ما يمس جوهره، ولا يتعارض معه)) (فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث: ٣١٧). محدثاً بذلك امتزاجاً بين البنية القرآنية المعجزة والشعر منتجاً بذلك بنية جديدة.

كقول الإمام السجاد عليه السلام (الديوان:٣٨-٣٩):

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت	**مبادرةً تهوي إليه الذخائر**
ولا دفعت عنه الحصون التي بني	**وحفّ بها أنهارها والدساكر**
فليس له من كربة الموت فارج	**وليس له ممّا يحاذر ناصر**

فالاقتباس واضح الاشارة إلى الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء:٧٨) فإنّ هذا المفهوم يتواشج دلالياً مع ملفوظ النص الغائب، ويؤازر دلالته، ويدعم فكرته. وهنا تتجلي فاعلية الامتصاص الشعري للتركيب القرآني حيث وظفه الإمام عليه السلام بصياغة جديدة أكسبها نوعاً من الخصوصية، فالتناص هنا لم يعتمد علي التمثل الخفي للتركيب القرآني بشكل يثير في نفس المتلقي قدرة إيحائية خاصة تمكنه أن يستجلي النص الشعري ومدي تأثره بالنص القرآني، ومدي استقطابه لبعض اللمحات والومضات القرآنية.

ويقول الإمام عليه السلام في هذا الصدد:

وإنّ متع دنيانا قليلٌ	**وما يجدي القليل من المتاع**

وقد استوحى الإمام عليه السلام تلك الفكرة من قوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء:٧٨).

وفي هذا المقطع الشعري تركز حضور الخطاب القرآني حضوراً فاعلاً لشحن النص الشعري بكم هائل من الايحاءات. فلقد كان الإمام من خلال هذه الدفقة الشهرية يدعو الى ذم الدنيا ومتاعها فمقام الانسان فيها قليل فهو يدعو الى التزود فيها لدار القرار دار البقاء والخلود والتزود فيها يكون بالتقوى فهي خير زاد يتزود به الانسان لآخرته فمن طلب العز ليبقى له فان عزَّ المرء يكون بتقواه.

٣-٦- الإقتباس المحور:

إن هذا النوع من الإقتباس يعني أن يقوم الشاعر بـ((استدعاء البنية القرآنية وإضافتها في خطابه الشعري وجعلها ممتزجة معه عن طريق العملية التحويرية للنص القرآني لفظاً ودلالة، حذفاً وتوليداً، تكثيفاً وتوسيعاً)) (محمد التميمي ٢٠٠٠م: ٣٠) يقول الإمام السجاد حول الدنيا وزينتها ومكرها تجاه الأهل وما يربح الإنسان منها (الديوان٧٣):

فَـــلا تَغرَّنَّـــكَ الـــدُّنيا وَزِينَتُهـــا ... وانْظُـــرْ إلى فِعْلِهـــا في الأَهْـــلِ والـــوَطَنِ

وانْظُـرْ إلى مَـنْ حَـوَى الـدُّنيا بِأَجْمَعِـها ... هَـلْ رَاحَ مِنْهـا بِغَيْـرِ الحَـنْطِ والكَفَـنِ

فالإمام عليه السلام قد أجرى بعض التغيير فحور في النص القرآني الداخل في نصّه الشعري الذي هو ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان:٣٣) فأبدل ضمير الجمع للخطاب بالضمير المفرد، وحذف الحياة وأبقي لفظة الدنيا واردفها بلفظة زينتها ووجّه للخطاب لنفسه كي لا تغرّه الحياة بزينتها ويخذ الحذر من بريقها. وأما دلالة التركيب فتكاد تقترب من روح النص القرآني الذي جاء ليعبر عن معنى واضح هي أن الدنيا تفتك بمن يهواها وسيصيبه الغرور نتيجة حبّه للدنيا ويغتر ببريقها وزخارفها وبذلك سيبتعد عن الأهل والأصدقاء ويصيبه الغرور والتكبر ويبتعد عن الله نهائياً.

وفي هذا الصدد سئل الإمام زين لعابدين عليه السلام عن أفضل الأعمال عند الله، فقال: ((ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك شعباً كثيرة، وإن للمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر، وهو معصية إبليس حين أبى، واستكبر، وكان من الكافلارين، والحسد وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، وحب الثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء

والعلماء بعد معرفة ذلك.. حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دار بلاء..))(أصول الكافي: باب ذم الدنيا.). إن حب الدنيا أساس البلاء، ومصدر الفتن، والأخطاء التي يمنى بها الإنسان، فإن تهالكه على الدنيا يجر له كثيراً من المعاصي والآثام، ويلقيه في شر عظيم، وقد ذكر الإمام عليه السلام بعض الآفات من حب الدنيا، والتي منها:- التكبر. الحسد. حب النساء وحب الرياسة. حب الراحة.- حب الكلام حب العلو على الغي- حب الثروة. وهذه الآفات قد جعلت الإنسان يسلك في المنعطفات، وأغرقته في الآثام، وأبعدته عن طريق الحق.

وفي مقطع آخر يقول الإمام عن التقوي وضرورة التزود بالتقوي والزاد قبل دنو الموت، حيث يقول(الديوان٦٢):

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُقى ... ولاقيت قبل الموتِ من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد لما كان أرصدا

فلقد استمد الإمام هذا المضمون من قولهِ عزّ وجل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾(البقرة: ١٩٧). والاقتباس في هذه القطعة الشعرية واضح و هو مما ((يزداد به الكلام حلاوة ويكتسب به رونقاً وطلاة ولاسيما إذا كان الاقتباس بآيات من القران الكريم فإنها تكون في الكلام كالشاهدة له، والمنادية على سداده))(ابن الأثير، د.ت، ٢٣٢).

وفي محور آخر يقول الإمام عليه السلام(الديوان(٥٣):

فمن حسُنت أفعاله فهو فائز ... ومن قبُحت أفعاله فهو زاهق

إنّنا نستشف في النص الشعري قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٣) ولكن هذا الاستدعاء لم يخلو من التحوير بحيث أبدل الإمام (ثقلت- للنص الغائب) بدل حسُنت في النص الحاضر، كما أبدل المفلحون بالفائز وإن هي في معني واحد وأبدل الإمام عليه السلام (خفّت - للنص الغائب) بقبحت، كما أبدل لفظة خسروا القرآنية بلفظة زهق والتي تعني الباطل والخسارة أيضاً. فقد امتاح الإمام عليه السلام من مفردات القرآن الكريم وتأثر بالروح العامة لصياغاته الأسلوبية وإيقاعاته الإيحائية التي أضفت على نص الشاعر صفة القداسة، وجذبت اهتمام

المتلقي وأحدثت تأثيراً بالغًا عبر تحريك ا لقيم الكامنة في وجدانه باكتشاف الفعاليات التناصية التي يقيمها النص الشعري مع القرآن مما يسهل عليه إدراك حقيقة التناص وحفظ النص، ومواصلة الترنم بأسلوبه، واستحضار الشبكة الدلالية للأسلوب القرآني.

وفي مقطع آخر يرسم الإمام القيامة وأهوالها ويصور ذلك اليوم بعدسة قرآنية إذا جاز التعبير، حيث يقول(الديوان:٤٦):

عظيم هوله والناس فيه ... حياري مثل مثبوث الفراش

هنالك منك ما قدّمت يبدو ... فعيبك ظاهر والسرُّ فاش

فلقد قام الإمام عليه السلام باستدعاء بنية النص القرآني في خطابه الشعري عن طريق العملية التحويرية للنص الذي أخذه من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (القارعة:٤-٥) فدلالة النَص الشعري فهي قريبة من روح النص القرآني الدالة عن القيامة وأهوالها. فالمشهد المعروض في الآية والمعني المستوحاة منه في لغة الإمام مشهد مخيف ((وهول مادي يبدو الناس في ظله ضئالاً علي كثرتهم، فهم "كالفراش المبثوث" مستطارون كذلك مستخفون؛ وتبدو الجبال الثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح الهوج)) (سيد قطب،٢٠٠٣،٦٥) وبعد هذا يمكننا أن نقول إنَّ الاقتباس الذي أداه الإمام عليه السلام قد تم عن طريق اقتباس لآيات كاملة وتراكيب بعينها ضمنها في أبياته الشعرية أو عن طريق اقتباس شبه كامل للآيات او التراكيب القرآنية وقد يكون الاقتباس اشارات او رموزًا لآيات معينة او سور قرآنية بالاعتماد على ثقافة المتلقي القرآنية فضلاً عن ذكاءه وفطنته التي ترشده الى فهمها بالإشارة أو الرمز.

وأنشد الإمام في مقطع آخر (الديوان:٦٢-٦٣):

إذا نصب الميزان للفصل والقضاء ... وأبلس محجاج وأخرس ناطق

وأججت النيران واشتد غيظها ... إذا فتحت أبوابها والمغالق

وفي هذا القطعة الشعرية يوجد تناص أو اقتباس محوري مع أكثر من آية في الموضع الواحد وهذه الكثافة التناصية تعود إلى تعدد السياقات داخل النص الحاضر أو تعدد الإشارات الصادرة منه. وقد استدعي الإمام السجاد عليه السلام في نصه البيت الأول قوله تعالى:

﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات:٣٥-٣٦) وفي البيت الثاني قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (الفرقان:١٢-١٣) وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ٧١ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر-٧٢-٧٣) وفي هذه الآيات تصدر إشارات دلالية واحد تشد النص الشعري إلى دائرتها وتحركه في فلكها. فالإمام عليه السلام قد تمثل معاني القرآن الكريم دون أن يتقيد بتراكيبه وعباراته فقد عمد إلى اقتباس لفظة قرآنية أو عبارة قرآنية واحدة مستفيداً بما فيها من طاقات تعبيرية وتصويرية موحية فضلا عن أن الأديب قد يعمد إلى استعمال عدة عبارات لإفادة التعبير والتصوير فضلاً عن تأثر قصيدة واحدة بمعان كثيرة من القرآن الكريم.

٧ـ المعجم الشعري:

عندما نطالع الديوان الشعري المنسوب للإمام السجاد عليه السلام نجد أصداء المعجم القرآني بكثرة كاثرة في لغة شعر الإمام عليه السلام فالقرآن يعتبر المصدر الاول لثقافة الإمام عليه السلام، ومن هنا نقول (إن ذلك كله يكاد يجري في ميدان لغوي واحد يتمسك بمقومات اللغة الأم ولا يفرط بها مما يؤدي الى بقاء بصمات التراث اللغوي شاخصة فيما يلي من أجيال وبظهور من أساليب الكلام(طه باقر، ١٩٨٠م: ٦) وتبقى عبقرية الشاعر والأديب وقفًا على إختياره الفاظه وحسن تنسيقه لها وتعد اللفظة هي الحجر الأساس في بنية القصيدة الشعرية وفي تلاحمها هي والالفاظ الاخرى تقديمًا أو تأخيرًا، حذفًا أو إضافة تتشكل الصورة الشعرية، فاختيار اللفظة المناسبة ليس بالأمر اليسير لذلك قال أحد النقاد لعمري انها لعملية شاقة، فعلى الانسان أن يغرق نفسه في الالفاظ وأن يغوص فيها حقيقة لا مجازًا حتى يشكل اللائق المناسب منها في الصورة المنشودة في الوقت المناسب. فاللفظة لا تحمل معناها المعجمي فقط بل تحمل طاقة إيحائية تشعُّ مع غيرها لخلق الابداع الفني. ومن هنا يستطيع الشاعر أن يتحكم بحرّية غير مألوفة في غير الشعر فيمنح تلك اللغة قيمتها الشعرية لا من خلال ما قررته

من قواعد نحوية أو صرفية فهي تستمد قيمتها من خلال ارتباطها بعضها ببعض في اطار فني فنجدها تعتمد أحيانا على التقديم والتأخير او الحذف او التعريف والتنكير(الجرجاني، ٥٢) وقد حفل المعجم الشعري بالألفاظ القرآنية التي كشفت عن تقوى الشاعر وايمانه العميق بقيم السماء، وكشفت لنا عن موقعه من الحياة والعمل الصالح والتقوى من أجل الحياة الآخرة كقول الإمام عليه السلام(الديوان ٥٦):

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذُخراً يكونُ كسائر الأعمال

فهو يرى أن لا شيءَ ينفعُ الانسان في قبره عند موته إلا التقوى والعمل الصالح فهما خير زادٍ يتزود بهِ الانسان لآخرته. وفي مقطع آخر يضمن الإمام شعرة بالعبارة القرآنية حيث يقول(الديوان:٤٠):

وكيف يلذّ العيش من هو موقن بموقف عدل حين تبلي السرائر

وعن المحاسبة الدقيقة في يوم الحساب بحيث لايظلم أحد يقول الإمام عليه السلام(الديوان٤٨):

وألفي كلّ صالحة أتاها وسيئة جناها في الكتاب

فمفردات الشاعر الموحية المعبرة عن مشاعره واحاسيسه كانت قادرة على حمل افكاره وما يحتمل في نفسه وهي في محصلتها تمثيل صادق للإنسان المسلم المؤمن الذي لا يفارق الخوف والخشية من الله قلبه وعقله ابداً.

شكل المعجم الشعري للإمام السجاد عليه السلام نقلة نوعية في الأدب الإسلامي حيث تضمن هذا المعجم العديد من المفردات القرآنية والإسلامية والتي راحت تعبر عن روئ وآراء ودلالات نابعة من الصميم القرآني.ومن هنا عبر الإمام عليه السلام من خلال صياغته اللغوية ومفردات تراكيبه التي استقاها من المنبع الخصب الذي لا ينضب (القرآن الكريم) عن موقفه من الحياة والموت والبعث والقيامة والقضاء والقدر والتوكل على الله والصبر والقناعة بما قسمه الله وهو بذلك نجح في التعبير عن الوجدان الجماعي من خلال وجدانه الذاتي. ومن هذه المفردات التي كثرت بكثرة في معجم الشعري لفظة الجلالة وصفاته (١٤)(الله، الباري، عليم حكيم، المهمين، ذي العرش، العادل، القاهر، ذو قوة متين، ذي الجلال، قيوم، روؤف، التواب، الرحيم) ومفردة الموت حيث جاءت ٣٠ مرة في معاني مترادفة كـ:(المنية-الترحال،

الرحيل، المنون، الردي، الآجل، سهم المنايا، والحتف بغتة) ومن المفردات التي شكلت ثقلاً لا يستهان به في معجمه الشعرية مفردة الدنيا حيث جاءت ٢٩ مرة بالألفاظ مترادفة كـ:(الدنيا، دار العناء، دار الفناء، ودار الغرور) وتصدرت أيضاً لفظة القبر بعشرة مرات. وراحت تتوالي الفاظ قرآنية مثل نار جهنم(١) والنيران(١) واشتد غيظها(١) والفاظ ايمانية مثل تقوي الله(٣) والزاد و زاد التقوى(٩) والآخرة(٥) الجنات(٣) والكتاب(٦) والصراط(٢) والشواظ(١) وبرّ الوالدين(١) وعروة الوثقي(١) والحساب(٤) وإسماء القيامة ست مرات وهي (يوم الدين، مثبوث الفراش، يوم الحشر، يوم القيامة، يوم النشور، يوم الحساب) والعمل الصالح والخير(٨) وعفو الله(٢) وأهل البيت(٢) وبنو المصطفي(١) والبلي(٢) والرميم(٢) واللهو والملذات(٢) والتهجد(١) والغرور(٤) والفاظ دينية أخرى.

ومن الفاظ هذه الأبيات ومعانيها يتكشف لنا مدى التزام الإمام ابلزهد ولاخلاق والابتعاد عن الدنيا والانقطاع إلى الأخرة ودعوته الى معرفة حقيقة الإنسان والكون والفناء وهو بذلك يريد أن يجعل الإنسان يعتبر ويهتدي ويتمسك بالإيمان والقناعة والتوكل والصبر وأنماط السلوك الصحيحة الأخرى. كلها هذه الألفاظ القرآنية المشعة والموحية جاء بها الإمام ليؤثر في المتلقي ويحثه نحو الحياة الأخروية والتمتع بقدر ما سمح به الله عزّ وجل من الدنيا والاستعداد ليوم الرحيل والفوز برضا الله وجناته. لقد حفل شعر الإمام بشواهد كثيرة لم تُعنَ بحرفية النص القرآني او الحديث النبوي الشريف قدر عنايتها بأستلهام الروح الإيمانية الذي يحققه الجهد الشعري اذ جاءت هذه الألفاظ بلسان الحقيقة والوضوح والصراحة والجزالة ولاسيما أنها قد اشتملت على معاني القرآن الكريم الذي يصلح لكل زمان ومكان. إن تأثر شعر الإمام بأسلوب القرآن الكريم الذي يميل الى الوضوح ومخاطبة العقول بالحقائق جعل لغة هذا الشعر تميل نحو الوضوح والسهولة.

النتيجة:

القرآن الكريم بألفاظه، ومعانيه، وتراكيبه وصوره كان حاضراً في شعر الإمام السجاد عليه السلام، وكان أثره واضحاً جلياً فأغني الإمام بهذا النبع الثري صوره الأدبية التي حفلت بها قصائده، ولعل استحضار تلك الصور كان أدق وأخفي علي المتتبع، إذ يستدعي معرفة عميقة بما ضمه هذا الكتاب الكريم بين دفتيه من أسرار البيان وكنوزه. فالإمام

باعتباره القرآن الناطق أغني أسلوبه من هذا الكنز اللغوي والمعرفي الفريد وقد وظفّ النص القرآني لرسم صورة من خياله الخصب مقتبساً من النص القرآني لفظه ومعناه أحياناً.

وقد توزعت ظواهر التناص أو الاقتباس عدة محاور في شعر الإمام عليه السلام، كان لكل منها دوره الهام في إنتاج الدلالة، أو توجيهها وجهة معينة، كما أنها كانت تأخذ أشكا لا مختلفة، بحيث تتفاعل المحاور مع الأشكال فتعطي التناص طبيعة داخلية وخارجية في آن واحد. وقد كانت محاور التناص تتمثل في المفردة القرآنية وكذلك التركيب القرآني، ثم التناص مع أكثر من آية في الموضع الشعري الواحد، ثم التناص مع الآية كاملة، حيث رأينا الظاهرة تخرج من نطاق التناص إلى دائرة التنصيص، ثم الإضافة، حيث يضيف الإمام كلمة أو ضميراً إلى النص القرآني، فيخرج ذلك النص عن مساره القرآني إلى مساره الشعري الجديد.وقد رأينا أن النص القرآني أذكى شعرية الإمام عليه السلام، بما يحمله من دلالات ومعان وصور من خلال زيادة الغنى الدلالي للجملة الشعرية، ومن خلال عمق الصورة المستوحاة منه عبر استدعاء سياقات دلالية قرآنية تطابق - في بعض الأحيان - الدلالة المباشرة للجملة الشعرية، وقد تكمل - في أحيان أخرى - المعنى الذي بقي في ضمير الإمام. فعمد الإمام الى اقتباس الصورة القرآنية لإثراء ابعاد صورته الشعرية فهو ينقل جوهر الحدث في صورته الشعرية ويضيف اليها من اسلوبه وشاعريته وتدور غالبية موضوعاتها حول اليوم الاخر وساعة قيام، والموت، والتقوي، والزهد و الجنة والنار والتحذير من الدنيا وزخارفها والارشاد والهداية وغير ذلك من المفاهيم الإسلامية العريقة.

هوامش البحث ومصادره

- **القرآن الكريم**
- إبراهيم محمود، خليل (٢٠٠٦): من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن، عمان، دار مجدلاوي.
- ابركرمبي، لاسل(١٩٥٤): قواعد النقد الادبي، ترجمة محمد عوض محمد ط٣ القاهرة.
- ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ) (١٩٦٥):الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور تحقيق مصطفى جواد جميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد.

- ابن ميادة (١٩٨٦):ديوان، جمع وتحقيق محمد نايف الدليمي، الموصل، مطبعة الجمهورية.
- الأندلسي، لأبي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد: تحقيق احمد امين، ابراهيم الابياري، احمد الزين،ط٣، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- باقر، طه(١٩٨٠): من تراثنا اللغوي القديم، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- بلاشير (١٩٧٣): تاريخ الادب العربي، ترجمة د. ابراهيم الكيلاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.
- بوحجام محمد ناصر (١٩٨٧): أثر القران في الشعر الجزائري، الجزائر، غرداية.
- التميمي، محمد(٢٠٠٠): القرآنية في شعر الرواد، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القادسية.
- الجرجاني، أبي الحسن الحسني (١٩٨٦): التعريفات، تحقيق د. أحمد مطلوب، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- الجرجاني، لأبي الحسن الحسيني (ت٨١٦هـ):التعريفات، تحقيق د. احمد مطلوب بغداد دار الشؤون الثقافية العامة بغداد. الحذيفي، عبدالله(١٩٩٩): فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي اطروحة دكتوراه كلية الآداب الجامعة.
- الحلبي (ت٧٢٥هـ)(١٩٨٠): حسن التوسل في صناعة الترسل تحقيق: اكرم عثمان، بغداد وزارة الثقافة والاعلام.
- حلبي، أحمد طعمة (٢٠٠٧): التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً، دمشق، الهيئة السورية للكتاب.
- حمدان، عبدالرحيم حمدان (٢٠٠٦): ((التناص في مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة)) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلد٣، العدد ٣.
- الرافعي، صادق (١٩٧٣):اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الزعبي، زياد (١٩٩٥): تبسيط الخطاب الشعري، دراسة في بنية اللغة الشعرية ومصادرها عند حيدر محمود، عمان، منشورات أمانة عمان الكبرى.
- السجاد، علي بن الحسين(٢٠٠٢): ديوان الإمام السجاد عليه السلام، تحـ: ماجد احمد العطية، بيروت، مؤسسة النور للمطبوعات.
- سيد قطب(٢٠٠٣): مشاهد القيامة في القرآن، مصر، القاهرة، دار المعارف.
- شلتاغ،عبود شراد(١٩٨٧م): اثر القران في الشعر الحديث، دمشق، دار المعرفة.

- عاطف جودة نصر (١٩٨٧):الرمز الشعري عند الصوفية، لبنان، بيروت، دار الأندلس.
- العاني، مكي (١٩٩١): اقتباس شعراء صدر الاسلام من القران، مجلة آداب المستنصرية العدد ٢٠.
- عبد المطلب، محمد(١٩٩٥): قراءات اسلوبية في الشعر الحديث الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عشري زايد، علي (١٩٩٧): استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي.
- غضيب احمد شاكر(١٩٨٩): أثر الاسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الاموي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلية الآداب.
- قاسم، نادر (١٩٩٤): التواصل بالتراث في الرواية العربية الفلسطينية الحديثة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية.
- قاسم، عبده قاسم (١٩٩٤): ((الشعر والتاريخ)) مجلة الفصول، المجلد٣، العدد٢.
- محمد باقر مجلسي(١٣٦٢): بحار الانوار، تهران: دار الكتب الاسلامية.
- مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري(ت٢٦١هـ): صحيح مسلم تحقيق واشراف عبد الله احمد ابو زينة مصر دار احياء الشعب.
- مفتاح، محمد (١٩٨٥):تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- نمر موسى، إبراهيم (٢٠٠٥): آفاق الرؤيا الشعرية، فلسطين، رام الله.